الفصل الثاني
معركة بدر الكبرى
(الجمعة ١٧ رمضان ٢هـ/١٣مارس٦٢٤م)

المبحث الأول
ملخص الغزوة

وسببها أن النبى ﷺ سمع بقافلة تجارية لقريش قادمة من الشام بإشراف أبى سفيان بن حرب، وتتكون من ألف بعير محملة بالبضائع، يحرسها أربعون رجلاً فقط، فندب المسلمين إليها، ليأخذوها لقاء ما صادر المشركون من أموال وعقارات المسلمين في مكة. فخف بعضهم لذلك وتثاقل آخرون،إذ لم يكونوا يتصورون قتالاً فى ذلك.

وتحسس أبو سفيان الأمر وهو فى طريقه الى مكة، فبلغه عزم المسلمين على خروجهم لأخذ القافلة، فأرسل الى مكة من يخبر قريشاً بالخبر ويستفزهم للخروج لإنقاذ أموالهم .

فبلغ الخبر قريشاً فتجهزوا سراعاً وخرج كل منهم قاصدين القتال حتى إنهم لم يتخلف من أشراف قريش أحد وكانو قريباً من ألف مقاتل .

وخرج رسول الله ﷺ فى ليال مضت من شهر رمضان مع أصحابه، أما أبو سفيان فقد أتيح له أن يحرز عيره، فلما أخبر قريشًا بأن القافلة التجارية قد نجت، وأنه لا داعي للقتال، رفض أبو جهل إلا المواجهة العسكرية..

وخرجت قريش في نحو من ألف مقاتل، منهم ستمائة دارع (لابس للدرع) ومائة فرس، وسبعمائة بعير، ومعهم عدد من القيان يضربن بالدفوف، ويغنين بهجاء الإسلام والمسلمين.

أما المسلمون فكانت عدتهم ثلاثمائة وأربعة عشر رجلاً، من المهاجرين ثلاثة وثمانون، وباقيهم من الأنصار (٦١ من الأوس، و١٧٠ من الخزرج) ، وكان معهم سبعون بعيرًا، وفرسان، وكان يتعاقب النفر اليسير على الجمل الواحد فترة بعد أخرى، وقبل المعركة، استشار النبي أصحابه، وخاصة الأنصار، في خوض المعركة، فأشاروا عليه بخوض المعركة إن شاء ، وتكلموا خيرًا .. ثم سار النبي - ﷺ - إلى أرض المعركة في

بدر١ ، عند أدنى ماء من العدو نزولاً على اقتراح الحباب بن المنذر، وتمام بناء مقر القيادة كما أشار سعد بن معاذ، وقبيل المعركة، أخذ الرسول - ﷺ - يسوي صفوف الجيش ، ويحرضهم على القتال، ويرغبهم في الشهادة، ورجع إلى مقر القيادة ومعه أبو بكر، وأخذ الرسول - ﷺ - في الدعاء والابتهال إلى الله أن ينصر الإسلام ويعز المسلمين، ثم حمي القتال، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين، وقد قُتل منهم أربعة عشر، وقُتل من جيش المشركين سبعون، وأُسر سبعون، وافتدى المشركون أسراهم بالمال ونحوه. وأصدر النبي- ﷺ - عفوًا عن بعض الأسرى دون أن يأخذ منهم الفداء ، نظرًا لفقرهم، وكلّف المتعلمين منهم بتعليم أطفال المسلمين القرأة والكتابة.

ونزلت سورة الأنفال تعقّب على هذه الغزوة وتستنكر على الصحابة اختلافهم على الأنفال . وتركز على سلبيات المعركة لمحاولة تلافيها في المعارك القادمة .

وكثيرة هي تلك المبادىء الأخلاقية للحرب التي ظهرت في هذه الغزوة كأحداث رئيسية في هذه المعركة.. وفيما يلي نقف على أهم مظاهر آداب الحروب في هذه الغزوة.

المبحث الثاني
آداب الحروب

المطلب الأول : حفظ العهود :

قال حذيفة بن اليمان: ما منعنا أن نشهد بدرًا إلا أني وأبي أقبلنا نريد رسول الله ﷺ فأخذنا كفار قريش فقالوا: إنكم تريدون محمدًا، فقلنا: ما نريده إنما نريد المدينة، فأخذوا علينا عهد الله وميثاقه لتصيرن إلى المدينة ولا تقاتلوا مع محمد ﷺ، لما جاوزناهم أتينا رسول الله ﷺ فذكرنا له ما قالوا وما قلنا لهم فيما ترى؟ قال: "نستعين الله عليهم ونفي بعهدهم"، فانطلقنا إلى المدينة، فذاك الذي منعنا أن نشهد بدرًا٢ !! .

وهذا الموقف من رسول الله يعد من مفاخر أخلاقيات الحروب في تاريخ الإنسانية، فلم ير المؤرخون في تاريخ الحروب قاطبة موقفًا يناظر هذا الموقف المبهر، ذلك الموقف الذي نرى فيه القيادة الإسلامية تحترم العهود والعقود لأقصى درجة، حتى العهود التي

---

١ مدينة بدر تبعد ١٥٥ كلم عن المدينة، و٣١٠ كلم عن مكة، و٣٠ كلم عن ساحل البحر الأحمر.
٢ الحاكم (٤٨٩٦)

أخذها المشركون على ضعفاء المسلمين أيام الاضطهاد، برغم ما يعلو هذه العقود من شبه الإكراه.

المطلب الثاني : لا نستعين بمشرك على مشرك :

لما خرج رسول الله ﷺ، إلى بدر فلما كان بحرة الوبرة أدركه خبيب بن إساف١، وكان ذا بأس ونجدة ولم يكن أسلم، ولكنه خرج منجدًا لقومه من الخزرج طالبا للغنيمة، وكانت تُذكر منه جرأة وشجاعة، ففرح أصحاب النبي ﷺ، حين رأوه، فلما أدركه قال: جئت لأتبعك وأصيب معك، فقال له النبي ﷺ: " أتؤمن بالله ورسوله؟ " قال: لا، قال: "فارجع فلن نستعين بمشرك"٢، " لا يصحبنا إلا من كان على ديننا"٣.. قَالَ خُبَيْبٌ : قَدْ عَلِمَ قَوْمِي أَنّي عَظِيمُ الْغِنَاءِ فِي الْحَرْبِ شَدِيدُ النّكَايَةِ، فَأُقَاتِلُ مَعَك لِلْغَنِيمَةِ وَلَنْ أُسْلِمَ . قَالَ رَسُولُ اللهّ ﷺ: " لَا ، وَلَكِنْ أَسْلِمْ ثُمّ قَاتِلْ"٤ .. ثم مضى رسول الله ﷺ، حتى إذا كان بموضع آخر أدركه خُبَيْبٌ فقال مثل مقالته الأولى فقال له النبي ﷺ، كما قال أول مرة فقال الرجل: لا، فقال : "ارجع فلن نستعين بمشرك"، فرجع ثم أدركه بالبيداء فقال مثل ما قال: أول مرة فقال له النبي ﷺ مثل ما قال أول مرة: "أتؤمن بالله ورسوله؟" فقال خُبَيْبٌ: نعم، أَسْلَمْت للهّ رَبّ الْعَالَمِينَ وَشَهِدْت أَنّك رَسُولُ اللهّ٥ فَسُرّ رَسُولُ اللهّ ﷺبِذَلِكَ ، وَقَالَ : "امْضِهِ"٦ أو " انطلق"٧ ، وَكَانَ عَظِيمَ الْغِنَاءِ فِي بَدْرٍ وَغَيْرِ بَدْرٍ.

وعلى النقيض من هذا الموقف، جاء أبو قَيْسُ بْنُ مُحَرّثٍ، يطلب القتال مع المسلمين وقد كان مشركًا، فلما رفض الإسلام، رده رَسُولُ اللهّ ﷺ وَرَجَعَ الرجل إلى المدينة، وأسلم بعد ذلك٨.

نرى القائد الإسلامي في هذا الموقف، يرفض أشد الرفض أن يستعين بمشرك على قتال مشرك، وأقل ما نُعَنون به هذا الموقف الحضاري المتكرر في السيرة الغراء، هو عنوان

---

١ الصالحي ٤ / ٢٣
٢ ابن سعد ٣ / ٥٣٥
٣ الصالحي ٤ / ٢٣
٤ الواقدي ٤٨
٥ المصدر السابق
٦ المصدر السابق
٧ ابن سعد ٣ / ٥٣٥
٨ الواقدي ٤٨

الحرب الشريفة النظيفة، التي تكون من أجل العقائد والمثل، لا من أجل القهر والظفر بالمغانم.. ففي هذا الموقف دلالة على أن الحرب في الإسلام لا تكون إلا من أجل العقيدة، فلا يصح إذن – إذا كنا نقاتل من أجل العقيدة – أن نستعين بأعداء هذه العقيدة في الحرب.

وتخيل معي شعور الجيش المشرك، عندما تأتيه أنباء رفض القائد الإسلامي الاستعانة عليهم بغير المسلمين.. بيد أن الحروب الجاهلية في الماضي والحاضر يستعين فيها الخصم على خصمه بشتى الملل والنحل، الصالحة والطالحة، المهم أن يظفر الخصم بخصمه، فينهب ويسلب ويغدر.. دون الالتفات إلى قيم أو مثل !

أما القيادة الإسلامية الكريمة فترسخ هذا الأصل الأصيل في أخلاقيات الحروب، بحيث تُظهر عقيدتها السمحة، وتستميل نفوس الجنود الذين جاءوا لحرب المسلمين، ناهيك عن البعد الإعلامي، الذي يسحب القائد الإسلامي بساطه من تحت خصمه، الذي جاء بطرًا ورئاء الناس، فيظهر الخصم المشرك أمام الرأي العام العالمي والإقليمي بمظهر المتعجرف.. أما الجيش الإسلامي فيظهر بمظهر جيش الخير، الذي يحترم العقيدة، إلى الدرجة التي يرفض فيها أن يستعين في قتاله بمن يخالف عقيدته.

المطلب الثالث : مشاركة القائد جنوده في الصعاب :

عن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : كنا يوم بدر، كل ثلاثة على بعير، فكان أبو لبابة وعلي بن أبي طالب زميلي رسول الله ﷺ قال : فكانت إذا جاءت عقبة رسول الله ﷺ قالا : نحن نمشي عنك قال : " ما أنتما بأقوى مني وما أنا بأغنى عن الأجر منكما "١ .

فالقائد الصالح هو من يشارك جنوده الصعاب، ويحفزهم على القليل والكثير من الصالحات، ليكون قدوة طيبة أخلاقية لجنوده في المنشط والمكره، وليس القائد بالذي يتخلف عن جيشه رهبًا من الموقف أو يتلذذ بصنوف النعيم الدنيوي وجنده يكابد الحر والقر.

المطلب الرابع : استشارة القادة والجنود :

١ ابن سيد الناس ١/ ٣٢٧، و ابن هشام ٢/ ٣٨٩ وحسنه الألباني في تحقيق فقه السيرة ١٦٧

في وادي ذَفِرَانَ١ بلغ النبي نجاة القافلة وتأكد من حتمية المواجهة العسكرية مع العدو أو الفرار.. استشار الناس ووضعهم أمام الوضع الراهن إما ملاقاة العدو وإما الهروب إلى المدينة .... فقال لجنوده" :أَشِيرُوا عَلَيّ أَيّهَا النّاسُ" ورددها مرارًا، وما زال يكررها عليهم، فيقوم الواحد تلو الآخر ويدلو بدلوه، فقام أبو بكر فقال وأحسن. ثم قام عمر فقال وأحسن. ثم قام الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو فقال وأحسن ..حتى قام القيادي الأنصاري البارز سعد بن معاذ، فحسم نتيجة الشورى لصالح الحل العسكري، قائلا :

" لَقَدْ آمَنّا بِك وَصَدّقْنَاك ، وَشَهِدْنَا أَنّ مَا جِئْت بِهِ هُوَ الْحَقّ ، وَأَعْطَيْنَاك عَلَى ذَلِكَ عُهُودِنَا وَمَوَاثِيقِنَا ، عَلَى السّمْعِ وَالطّاعَةِ .. فَامْضِ يَا رَسُولَ اللهّ لِمَا أَرَدْت فَنَحْنُ مَعَك ، فَوَالّذِي بَعَثَك بِالْحَقّ لَوْ اسْتَعْرَضْت بِنَا هَذَا الْبَحْرَ فَخُضْته لَخُضْنَاهُ مَعَك ، مَا تَخَلّفَ مِنّا رَجُلٌ وَاحِدٌ وَمَا نَكْرَهُ أَنْ تَلْقَى بِنَا عَدُوّنَا غَدًا ، إنّا لَصُبُرٌ فِي الْحَرْبِ صُدُقٌ فِي اللّقَاءِ . لَعَلّ اللهّ يُرِيك مِنّا مَا تَقُرّ بِهِ عَيْنُك ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللهّ "٢ .

فهذا هو المجتمع الإسلامي، الذي يعتبر الشورى ركنًا من أركانه، وأصلاً في بنيانه.. في أيام كانت أوربا تحت حكم وراثي كنسي مستبد، يقيد الجنود بالسلاسل – في المعارك – حتى لا يفروا. لا قيمة عندهم لرأي، ولا وزن – في تصوراتهم – لفكر.

المطلب الخامس : التفاؤل والتبشير بالنصر :

سُرّ رَسُولُ اللهّ ﷺ بِقَوْلِ سَعْدٍ وَنَشّطَهُ ذَلِكَ ثُمّ قَالَ : "سِيرُوا وَأَبْشِرُوا ، فَإِنّ اللهّ تَعَالَى قَدْ وَعَدَنِي إحْدَى الطّائِفَتَيْنِ ! وَاَللهّ لَكَأَنّي الْآنَ أَنْظُرُ إلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ !!"٣ .

وفي اليوم السابق ليوم بدر مشى ﷺ في أرض المعركة وجعل يُري جنوده مصارع رؤوس المشركين واحدًا واحدًا .

وَجَعَلَ يُشِيرُ بِيَدِهِ: هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ [ووضع يده بالأرض]٤، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ، وَهَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ – إنْ شَاءَ اللهُ –، فَمَا تَعَدّى أَحَد مِنْهُمْ مَوْضِعَ إشَارَتِهِ٥. فَعَلِمَ الْقَوْمُ أَنّهُمْ

---

١ يبعد وادي ذفران ٩٠ – ١١٠ كلم عن المدينة ، وكان في هذا الوادي المجلس الاستشاري الشهير لمعركة بدر

٢ السهيلي ٣/ ٥٧

٣ السهيلي ٣/ ٥٧

٤ الصالحي ٤/ ٥٤

٥ ابن القيم : زاد المعاد ٣/ ١٥٣

يُلَاقُونَ الْقِتَالَ وَأَنّ الْعِيرَ تُفْلِتُ وَرَجَوْا النّصْرَ لِقَوْلِ النّبِيّ - ﷺ ١ .

قال أنس: "ويضع يده على الأرض هاهنا هاهنا. فما ماطَ أحدهم عن موضع يد رسول الله" ٢ .

وقال عمر : " فوالذي بعثه بالحق ! ما أخطؤوا الحدود التي حد رسول الله "٣ .

وقوله ﷺ لعقبة بن أبي معيط – المجرم المعروف -: "إن وجدتك خارج جبال مكة قتلتك صبرا"٤، فحقق الله تعالى ذلك .

وأخبر بقتل المسلمين لأمية بن خلف٥، ولذلك قال سعد بن معاذ لأمية عندما ذهب إلى مكة قبيل بدر : يا أمية، فوالله لقد سمعت رسول الله يقول: "إنهم قاتلوك" ففزع لذلك أمية فزعاً شديداً٦ .

المطلب السادس : النهي عن استجلاب المعلومات بالعنف :

وهذا مظهر آخر من مظاهر آداب الحروب، فقد حذر رسولنا ﷺ من انتزاع المعلومات بالقوة من الناس..

ففي ليلة المعركة بَعَثَ النبي ﷺ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، وَالزّبَيْرَ بْنَ الْعَوّامِ ، وَسَعْدَ بْنَ أَبِي وَقّاصٍ ، فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إلَى مَاءِ بَدْرٍ في مهمة استخباراتية لجمع المعلومات ، فوجدوا غلامين يستقيان لجيش المشركين، فألقوا عليهما القبض، وَأَتَوْا بِهِمَا فَسَأَلُوهُمَا ، وَرَسُولُ اللهّ - ﷺ قَائِمٌ - يُصَلّي ، فَقَالَا : نَحْنُ سُقَاةُ قُرَيْشٍ ، بَعَثُونَا نَسْقِيهِمْ مِنْ الْمَاءِ . فَكَرِهَ الْقَوْمُ خَبَرَهُمَا ، وَرَجَوْا أَنْ يَكُونَا لِأَبِي سُفْيَانَ – لا تزال في نفوسهم بقايا أمل في اصطياد القافلة التجارية دون حرب - فَضَرَبُوهُمَا ضربًا موجعًا، حتى اضطر الغلامان أن يقولا : نَحْنُ لِأَبِي سُفْيَانَ فَتَرَكُوهُمَا .

---

١ الواقدي ٤٩

٢ البيهقي : دلائل نبوة النبي، باب ذكر رسول الله ﷺ من قتل ببدر من المشركين، وما في ذلك من دلائل النبوة (٢١)

٣ صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه (٢٨٧٣)

٤ الصالحي ٤ / ١٨

٥البيهقي : دلائل نبوة النبي، باب ذكر رسول الله ﷺ من قتل ببدر من المشركين، وما في ذلك من دلائل النبوة (٢١)

٦ المصدر السابق

فلما أتم رسول الله صلاته؛ قَالَ لهما مستنكرًا : "والذي نفسي بيده إنكم لتضربونهما إذا صدقا و تتركونهما إذا كذبا"١ .. ثم قال لهما :" إِذَا صَدَقَاكُمْ ضَرَبْتُمُوهُمَا ، وَإِذَا كَذَبَاكُمْ تَرَكْتُمُوهُمَا ؟ ! ، صَدَقَا ، وَاَللهِ إِنَّهُمَا لِقُرَيْشٍ"٢ .

هكذا كانت معاملة القيادة الإسلامية لمن وقع في قبضة المخابرات الإسلامية للاستجواب، فنهى القائد عن تعذيب المستجوَب، أو انتزاع المعلومات منه بالقوة، فسبق اتفاقية جينيف الثالثة لعام ١٩٤٩ التي تحظر إجبار الأسير على الإدلاء بمعلومات سوى معلومات تتيح التعرف عليه مثل اسمه وتاريخ ميلاده ورتبته العسكرية، وجرّم رسول الله ﷺ كل أعمال التعذيب أو الإيذاء أو الضغط النفسي والجسدي التي تمارس على الأسير ليفصح عن معلومات حربية.

وثمة تقدم إسلامي على هذه الاتفاقات الأخيرة، فرسول الله قد طبق هذه التعاليم التي تحترم حقوق الأسير، بيد أن دول الغرب في العصر الحديث لم تُعِرْ اهتمامًا لهذه الاتفاقات ولم تحترمها، والدليل على ذلك ما يفعله الجنود الأمريكيون في الشعب العراقي والأفغاني، وما يفعله الصهاينة في الشعب الفلسطيني.

المطلب السابع : احترام آراء الخبراء والجنود :

فقد قال عبد الله بن رواحة – في موقف من مواقف بدر – : " يا رسول الله إني أريد أن أشير عليك"٣ فأنصت رسول الله ﷺ لقول ابن رواحة وقال له قولاً حسنًا ..

ولما تحرك رسول الله إلى موقع ماء بدر في موقع المعركة، نزل بالجيش عند أدنى بئر من آبار بدر من الجيش الإسلامي، وهنا قام الْحُبَاب بْنَ الْمُنْذِرِ وأشار على النبي بموقع آخر أفضل من هذا الموقع قائلا :

يَا رَسُولَ اللهِ ! أَرَأَيْت هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمَنْزِلًا أَنْزَلَكَهُ اللهُ، لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدّمَهُ وَلَا نَتَأَخّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ ؟ قَالَ : " بَلْ هُوَ الرّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ" .. فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللهِ فَإِنّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنّاسِ حَتّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ ، فَنَنْزِلَهُ ثُمّ

---

١ ابن كثير: الفصول في السيرة ٢٧

٢ ابن هشام ١ / ٦١٦

٣ الصالحي ٤ / ٣٧، و الطبراني في الكبير ٤ / ٢١٠ والسيوطي في الدر المنثور ٣ / ٢٦٣ وعزاه لابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

نُغَوِّرَ١ مَا وَرَاءَهُ مِنْ الْقُلُبِ، ثُمّ نَبْنِيَ عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلَؤُهُ مَاءً، ثُمّ نُقَاتِلَ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبَ وَلَا يَشْرَبُونَ..

فَقَالَ رَسُولُ اللهّ - ﷺ - مشجعًا - :" لَقَدْ أَشَرْت بِالرّأْيِ".

وبادر النبي بتنفيذ ما أشار به الحباب، ولم يستبد برأيه برغم أنه القائد الأعلى، وعليه ينزل الوحي من السماء، فَنَهَضَ رَسُولُ اللهّ ﷺ وَمَنْ مَعَهُ مِنْ النّاسِ فَسَارَ حَتّى إذَا أَتَى أَدْنَى مَاءٍ مِنْ الْقَوْمِ، نَزَلَ عَلَيْهِ، ثُمّ أَمَرَ بالآبَار فخُربت، وَبَنَى حَوْضًا عَلَى الْبئر الّذِي نَزَلَ عَلَيْهِ فَمُلِئَ مَاءً، ثُمّ قَذَفُوا فِيهِ الْآنِيَةَ٢ .

إن هذه المواقف لتبين كيف تكون العلاقة بين القائد وجنوده، إنها علاقة تحترم الآراء الناضجة وتشجع الأفكار الصاعدة.

المطلب الثامن : تامين مقر القيادة:

فقد قال القائد الإسلامي سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ – مبينًا أهمية تأمين سلامة القائد والقيادة- : " يَا نَبِيّ اللهّ، أَلَا نَبْنِي لَك عَرِيشًا [من جريد٣] تَكُونُ فِيهِ نُعِدّ عِنْدَك رَكَائِبَك [أو رواحلك٤]، ثُمّ نَلْقَى عَدُوّنَا ، فَإِنْ أَعَزّنَا اللهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوّنَا، كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا ، وَإِنْ كَانَتْ الْأُخْرَى ، جَلَسَتْ عَلَى رَكَائِبِك ، فَلَحِقَتْ بِمَنْ وَرَاءَنَا ، فَقَدْ تَخَلّفَ عَنْك أَقْوَامٌ - يَا نَبِيّ اللهّ - مَا نَحْنُ بِأَشَدّ لَك حُبّا مِنْهُمْ ! وَلَوْ ظَنّوا أَنّك تَلْقَى حَرْبًا مَا تَخَلّفُوا عَنْك ، يَمْنَعُك اللهُ بِهِمْ يُنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَك"٥ .

فَأَثْنَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهّ ﷺ خَيْرًا ، وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ .

وقال مبشرًا : "أو يقضي الله خيراً من ذلك يا سعد!"٦

ثُمّ بُنِيَ لِرَسُولِ اللهّ ﷺ عَرِيشًا على تل مرتفع يشرف على ساحة القتال ٧ استجابة

---

١ أي ندفن. وفي رواية : نعور.

٢ السهيلي ٣ / ٦٢، ابن سيد الناس ١ / ٣٣٢ ، ابن هشام - ١ / ٦٢٠، ابن كثير: السيرة النبوية ٢ / ٤٠٢ ، والصالحي ٤ / ٣٠

٣ ابن الأثير: الكامل في التاريخ ١ / ٢٨٣، والطبري ١ / ٤٤٥

٤ الواقدي ٤٩

٥ السهيلي ٣ / ٦٣

٦ الواقدي ١٧

٧ السهيلي ٣ / ٦٣

لمطلب سعد – رضي الله عنه – .

وكان فيه أبو بكر، ما معهما غيرهما١.

كما تم انتخاب فرقة من جنود الأنصار بقيادة سعد بن معاذ لحراسة مقر قيادة حضرة النبي – ﷺ ٢.

المطلب التاسع : حُسن الظن بالجنود القاعدين :

وذلك في قول سعد بن معاذ للنبي عندما اقترح عليه فكرة العريش ، قال سعد – في رواية – :

إنّا قَدْ خَلَفْنَا مِنْ قَوْمِنَا قَوْمًا مَا نَحْنُ بِأَشَدّ حُبّا لَك مِنْهُمْ . وَلَا أَطْوَعَ لَك مِنْهُمْ، لَهُمْ رَغْبَةٌ فِي الْجِهَادِ وَنِيّةٌ، وَلَوْ ظَنّوا – يَا رَسُولَ اللهّ أَنّك – مُلَاقٍ عَدُوّا مَا تَخَلّفُوا ، وَلَكِنْ إنّمَا ظَنّوا أَنّهَا الْعِيرُ ٣.

المطلب العاشر : العدل بين القائد والجندي :

قلما نرى في تاريخ الحروب صورة تعبر عن العدل بيت القادة والجنود، فالتاريخ الإنساني حافل بصور استبداد القادة العسكريين وظلمهم للجنود.. أما محمد ﷺ فنراه في أرض المعركة يقف أمام جندي من جنوده لِيَقتص الجندي منه.. أما الجندي فهو سَوَادِ بْنِ غَزِيّةَ، لما اسْتَنْتِل من الصف، غمزه النبي غمزة خفيفة في بَطْنِهِ – بالسهم الذي لا نصل له – وقال: "اسْتَوِ يَا سَوّادُ!".. قال: يا رسول الله! أوجعتني !وقد بعثك الله بالحق والعدل؛ فَأَقِدْنِي !فكشف رسول اللهّ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ، وَقَالَ: "اسْتَقِدْ .."فَاعْتَنَقَهُ فَقَبّلَ بَطْنَهُ !فَقَالَ النبي ﷺ: "مَا حَمَلَك عَلَى هَذَا يَا سَوّادُ؟"، قال: حضر ما ترى، فَأَرَدْتُ أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدي جلدك! فدعا له رسول الله بخير ٤.

المطلب الحادي عشر : دعاء القائد لجنده :

لما عَدّلَ رَسُولُ اللهّ ﷺ الصّفُوفَ وَرَجَعَ إلَى مقر القيادة، فَدَخَلَهُ وَمَعَهُ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ الصّدّيقُ ، لَيْسَ مَعَهُ فِيهِ غَيْرُهُ، إذا بَرَسُولُ اللهّ ﷺ يُنَاشِدُ رَبّهُ مَا وَعَدَهُ مِنْ النّصْرِ وَيَقُولُ فِيمَا

---

١ ابن الأثير: أسد الغابة ٢ / ١٤٣، والذهبي: تاريخ الإسلام للذهبي ١ / ١٧٩

٢انظر: ابن هشام ٢/ ٢٣٣ .

٣ الواقدي ١ / ٤٩

٤ ابن هشام ١ / ٦٢٦، السهيلي ٣ / ٦٧، الواقدي ٥٧، ابن سيد الناس ١ / ٣٣٦، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، ٢٨٣٥

يَقُولُ : " اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي .. اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي.. اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ! ! "١.. وبالغ في الابتهال، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ : "يَا نَبِيَّ اللهِّ ! كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ"٢ ... ثُمّ انْتَبَهَ فَقَالَ " أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ ! أَتَاكَ نَصْرُ اللهِّ ! هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِعَنَانِ فَرَسٍ يَقُودُهُ عَلَى ثَنَايَاهُ النّقْعُ"٣.

وكان من دعاء النبيﷺ ما ذكره علي بن أبي طالب، حيث قال: "لما كان يوم بدر قاتلت شيئا من قتال، ثم جئت مسرعًا إلى النبي ﷺلأنظر ما فعل، فإذا هو ساجد يقول: " يا حي يا قيوم "، لا يزيد عليها، ثم رجعت إلى القتال ثم جئت وهو ساجد يقول ذلك، ثم ذهبت إلى القتال.ثم رجعت وهو ساجد يقول ذلك٤ . ".

و نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وتكاثرهم وإلى المسلمين فاستقلهم، فركع ركعتين، وقام أبو بكر عن يمينه، فقال رسول الله ﷺ في صلاته: " اللهم لا تودع مني، اللهم لا تخذلني، اللهم أنشدك ما وعدتني "٥ .

وكان من دعائه كذلك لجنوده : " اللهم إنهم حفاة فاحملهم، اللهم إنهم عراة فاكسهم، اللهم إنهم جياع فأشبعهم "٦ . قال عبد الله بن عمرو : ففتح الله له يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا وما منهم رجل إلا وقد رجع بجمل أو جملين واكتسوا وشبعوا.

وَدَعَا يَوْمَئِذٍ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ : " اللّهُمّ إِنّ إِبْرَاهِيمَ عَبْدُك وَخَلِيلُك وَنَبِيّك ، دَعَاك لِأَهْلِ مَكّةَ وَإِنّي مُحَمّدٌ عَبْدُك وَنَبِيّك ، أَدْعُوَك لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ ، أَنْ تُبَارِكَ لَهُمْ فِي صَاعِهِمْ وَمُدّهِمْ وَثِمَارِهِمْ اللّهُمّ حَبّبْ إلَيْنَا الْمَدِينَةَ ، وَاجْعَلْ مَا بِهَا مِنْ الْوَبَاءِ بِخُمّ٧، اللّهُمّ إنّي قَدْ

---

١ صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة (٣٣٠٩)

٢ المصدر السابق

٣ السهيلي ٣ / ٦٨، والسيوطي في الدر المنثور ٣ / ١٧٢ وعزاه للبيهقي في الدلائل وأخرجه البيهقي في الدلائل (٢ / ٣٣٦)، (٣ / ٥٤).

٤ الصالحي ٤ / ٣٧

٥ الصالحي ٤ / ٣٨، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٢٨٧٢).

٦ أبو داود ، كتاب الجهاد ، باب في نفل السرية تخرج من العسكر، (٢٧٤٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٠٣)

٧ خُمّ عَلَى مِيلَيْنِ مِنْ الْجُحْفَةِ .

حَرّمْت مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا كَمَا حَرّمَ إبْرَاهِيمُ خَلِيلُك مَكّةَ"١ .

قال ابن مسعود : "ما سمعت مناشدًا ينشد مقالة، أشد مناشدة من رسول الله ﷺ لربه يوم بدر"٢.

المطلب الثاني عشر :الحوار قبل الصدام :

أراد النبي أن يستنفد كل وسائل الصلح والسلام قبل أن يخوض المعركة، فما أُرسل إلا رحمة للعالمين، فأراد أن يبادر بمبادرة للسلام ليرجع الجيشان إلى ديارهما، فتُحقن الدماء، أو ليقيم الحجة على المشركين، فلما نَزَلَ الجيش الوثني أرض بدر أَرْسَلَ رَسُولُ اللهّ ﷺ عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ إلى قُرَيْشٍ، وقد كان سفيرهم في الجاهلية، فنصحهم عمر بالرجوع إلى ديارهم حقنًا للدماء.. فتلقفها حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ أحد عقلاء المشركين، فقال: قد عَرَضَ نصْفًا، فَاقْبَلُوهُ، والله لا تُنْصَرُونَ عليه بعد ما عرض من النّصْفِ..فقَالَ أَبُو جَهْلٍ: وَاَللهّ لَا نَرْجِعُ بَعْدَ أَنْ أَمْكَنَنَا اللهُ مِنْهُمْ، وَلَا نَطْلُبُ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ، وَلَا يَعْتَرِضُ لِعِيرِنَا بَعْدَ هَذَا أَبَدًا٣.

ومن ثم فشلت مبادرة السلام من النبيﷺ، ولكن يبقى له فضل السبق بطلب السلام، ليحقق ذلك المبدأ الأخلاقي الكبير " الحوار قبل الصدام" .

المطلب الثالث عشر : الوفاء حتى مع المشركين :

فقد قال النَّبِي- ﷺ - فِي أُسَارَى بَدْرٍ : " لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا٤ ثُمَّ كَلَّمَنِي فِي هَؤُلَاءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ"٥ .. وفي رواية : "لأطلقتهم له ".

وذلك لأن المطعم قد أدخل النبي- ﷺ - في جواره فور رجوعه من الطائف إلى مكة، فقد منعه المشركون الدخول إلى وطنه، وفي الوقت الذي تخلى فيه الناس عن حماية النبي خوفًا من بطش أبي جهل، قال المطعم: "يا معشر قريش، إني قد أجرت محمدًا فلا

---

١ الواقدي ٢٣، والصالحي - ٤ / ٢٣، وصحح الألباني نحو هذه الصيغة في صحيح وضعيف سنن الترمذي، رقم ٣٩١٤، وهناك صيغة في الصحيحين هي : "إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة ودعوت لها في مدها وصاعها مثل ما دعا إبراهيم لمكة" .

٢ ابن كثير: السيرة النبوية ٢\ ٤١٩

٣ الواقدي ١ / ٦٢، و الصالحي - ٤ / ٣٣

٤ فقد مات المطعم بمكة - في صفر من العام الثاني للهجرة- كافراً، ودفن بالحجون وهو ابن بضع وتسعين سنة، أقيم النوح سنة عليه. (ابن الجوزي: المنتظم - ج ١ / ص ٣١٦)

٥ صحيح البخاري، كتاب فرض الخمس، باب ما مَن النبي ﷺ على الأسارى من غير أن يُخَمِّسَ (٢٩٠٦)

يهجه أحد منكم " ..

وقد حفظ النبي - ﷺ - للمطعم هذا الصنيع وهذه الشهامة .

وَكَانَ رَسُولُ اللهّ ﷺ قَدْ زَوّجَ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي لَهَبٍ رُقَيّةَ أَوْ أُمّ كُلْثُومٍ . فَلَمّا بَادَى قُرَيْشًا بِأَمْرِ اللهّ تَعَالَى وَبِالْعَدَاوَةِ قَالُوا : إنّكُمْ قَدْ قَرّغْتُمْ مُحَمّدًا مِنْ هَمّهِ فَرُدّوا عَلَيْهِ بَنَاتِهِ فَاشْغَلُوهُ بِهِنّ . فَمَشَوْا إلَى عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ ، فَقَالُوا لَهُ طَلّقْ بِنْتَ مُحَمّدٍ وَنَحْنُ نُنْكِحُك أَيّ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ شِئْت، ففعل. وَمَشَوْا إلَى أَبِي الْعَاصِ فَقَالُوا لَهُ: فَارِقْ بِنْتَ مُحَمّدٍ وَنَحْنُ نُنْكِحُك أَيّ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ شِئْت، قَالَ: لَا وَاَللهّ إنّي لَا أُفَارِقُ صَاحِبَتِي ، وَمَا أُحِبّ أَنّ لِي بِامْرَأَتِي امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ[1]، فحفظ له رسول الله هذا الصنيع، وقد كان أبو العاص في أسرى بدر، فأفرج عنه رسول الله دون فداء ،كما سنذكر في صور إكرام الأسرى .

وعن ابْنِ عَبّاسٍ : أَنّ النّبِيّ ﷺ قَالَ لِأَصْحَابِهِ: " إنّي قَدْ عَرَفْت أَنّ رِجَالًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَغَيْرِهِمْ قَدْ أُخْرِجُوا كُرْهًا ، لَا حَاجَةَ لَهُمْ بِقِتَالِنَا ، فَمَنْ لَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ أَبَا الْبَخْتَرِيّ بْنَ هِشَامِ بْنِ الْحَارِثِ ابْنِ أَسَدٍ فَلَا يَقْتُلْهُ، وَمَنْ لَقِيَ الْعَبّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطّلِبِ ، فَلَا يَقْتُلْهُ، فَإِنّهُ إنّمَا أُخْرِجَ مُسْتَكْرَهًا ."[2] ، وقد كان العباس في مكة بمثابة قلم المخابرات للدولة الإسلامية، وقد كان مسلمًا يكتم إيمانه ..

وَإِنّمَا نَهَى رَسُولُ اللهّ ﷺ عَنْ قَتْلِ أَبِي الْبَخْتَرِيّ لِأَنّهُ كَانَ أَكَفّ الْقَوْمِ عَنْ رَسُولِ اللهّ ﷺ وَهُوَ بِمَكّةَ، وَكَانَ لَا يُؤْذِيهِ وَلَا يَبْلُغُهُ عَنْهُ شَيْءٌ يَكْرَهُهُ، وَكَانَ مِمّنْ قَامَ فِي نَقْضِ الصّحِيفَةِ الّتِي كَتَبَتْ قُرَيْشٌ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِيّ الْمُطّلِبِ. فَلَقِيَهُ الْمُجَذّرُ بْنُ ذِيَادٍ الْبَلَوِيّ فَقَالَ الْمُجَذّرُ لِأَبِي الْبَخْتَرِيّ : "إنّ رَسُولَ اللهّ ﷺ قَدْ نَهَانَا عَنْ قَتْلِك .."[3] .

فمثل هذه المواقف تؤكد أن القيادة الإسلامية تحفظ الجميل لأصحاب الشهامة وإن كانوا من فسطاط المشركين.

---

١ ابن هشام ١ / ٦٥٢

٢ ابن هشام ١ / ٦٢٨، ابن سيد الناس ١ / ٣٣٩، ابن كثير: السيرة النبوية ٢ / ٤٣٦، الصالحي ٤ / ٤٩، ابن سعد ٤ / ١٠

٣ ابن هشام ١ / ٦٢٨، ابن سيد الناس ١ / ٣٣٩، ابن كثير: السيرة النبوية ٢ / ٤٣٦، الصالحي٤ / ٤٩

المطلب الرابع عشر : إكرام الأسرى :

أولاً : جنوح القيادة الإسلامية للعفو عن الأسرى :

بعدما أكرم الله الجيش الإسلامي بالنصر، واستوثق المسلمون من الأسرى، استشار النبي ﷺ وزرائه في أسارى بدر فأشار عليه أبو بكر أن يأخذ منهم فدية، فهم بنو العم والعفو عنهم أحسن، ولعل الله أن يهديهم إلى الإسلام. وقال عمر : لا والله ما أرى الذي رأى أبو بكر ولكن أرى أن تمكننا فنضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها!!

فهوي النبي ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قال عمر. فلما كان من الغد أقبل عمر فإذا رسول الله ﷺ يبكى هو وأبو بكر فقال: يا رسول الله! من أي شئ تبكي أنت وصاحبك فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما؟ فقال رسول الله ﷺ: "أبكي للذي عرض على أصحابك من أخذهم الفداء ! لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة !" وأنزل الله تعالى قوله:﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ﴾١.

وقد تكلم العلماء في أي الرأيين كان أصوب فرجحت طائفة قول عمر لهذا الحديث ورجحت طائفة قول أبي بكر لاستقرار الأمر عليه وموافقته الكتاب الذي سبق من الله بإحلال ذلك لهم ولموافقته الرحمة التي غلبت الغضب، ولتشبيه النبي ﷺ له في ذلك بإبراهيم وعيسى، وتشبيهه لعمر بنوح وموسى، ولحصول الخير العظيم الذي حصل بإسلام أكثر أولئك الأسرى، ولخروج من خرج من أصلابهم من المسلمين، ولحصول القوة التي حصلت للمسلمين بالفداء ولموافقة رسول الله ﷺ لأبي بكر أولاً ولموافقة الله له آخراً حيث استقر الأمر على رأيه ولكمال نظر الصديق فإنه رأى ما يستقر عليه حكم الله آخراً وغلب جانب الرحمة على جانب العقوبة٢...

ثانيًا : تكفل المجتمع الإسلامي بإكرام الأسرى :

حين أقبل بالأسارى – بعد بدر – فرقهم النبيﷺ بين أصحابه وقال :

"استوصوا بهم خيراً"٣ ..

---

١ سورة الأنفال:الآية ٦٧

٢ ابن القيم : زاد المعاد ، ٣\ ٩٩

٣ ابن كثير: البداية والنهاية، ٣\ ٣٠٧

وبهذه التوصية النبوية الرفيعة، تحقق في هذا الجيل الإسلامي الفضيل قول الله تعالى: ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: ٨]

ثالثًا : توفير الرعاية الغذائية للأسرى :

وهذا أبو عزيز بن عمير أخو مصعب بن عمير يحدثنا عما رأى. قال: كنت في الأسرى يوم بدر١، فقال رسول الله ﷺ:" اسْتَوْصُوا بِالْأُسَارَى خَيْرًا"٢ . وكُنْتُ فِي رَهْطٍ مِنْ الْأَنْصَارِ حِينَ أَقْبَلُوا بِي مِنْ بَدْرٍ فَكَانُوا إذَا قَدّمُوا غَدَاءَهُمْ وَعَشَاءَهُمْ خَصّونِي بِالْخُبْزِ وَأَكَلُوا التّمْرَ لِوَصِيّةِ رَسُولِ اللهّ ﷺ إيّاهُمْ بِنَا ، مَا تَقَعُ فِي يَدِ رَجُلٍ مِنْهُمْ كِسْرَةُ خُبْزٍ إلّا نَفَحَنِي بِهَا . قَالَ فَأَسْتَحْيِيَ فَأَرُدّهَا عَلَى أَحَدِهِمْ فَيَرُدّهَا عَلَيّ ما يَمَسّهَا ٣.

لقد سبق تلاميُذ محمد ﷺ تلك الاتفاقات الحديثة التي نصت على ضرورة إطعام الأسرى الطعام الجيد وتوفير الرعاية الصحية والنفسية لهم .. فقد جاء في المادة (٢٠) من اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة أسرى الحرب المؤرخة في ١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩ أن " على الدولة الحاجزة أن تزود أسرى الحرب الذين يتم إجلاؤهم بكميات كافية من ماء الشرب والطعام وبالملابس والرعاية الطبية اللازمة. وعليها أن تتخذ جميع الاحتياطات لضمان سلامتهم أثناء نقلهم، وأن تعد بأسرع ما يمكن قائمة بأسرى الحرب الذين يتم إجلاؤهم.فإذا اقتضى الأمر مرور أسرى الحرب أثناء نقلهم بمعسكرات انتقالية، وجب أن تكون مدة إقامتهم في هذه المعسكرات أقصر ما يمكن"٤.

رابعًا: تبادل الأسرى :

ولما أُسر عمرو بن أبي سفيان بن حرب، في معركة بدر، ووقع أسيرًا في يد رسول الله ﷺ فقيل لأبي سفيان: افد عمرًا ابنك ! قال: أيجمع علي دمي ومالي، قتلوا حنظلة وأفدي عمرًا، دعوه في أيديهم يمسكوه ما بدا لهم.

فبينًا هو كذلك محبوس بالمدينة عند رسول الله ﷺ إذ خرج شيخ كبير مسلم إلى مكة لأداء العمرة، وكان اسمه سعد بن النعمان بن أكال - أخو بني عمرو بن عوف- فخرج معتمرًا، رغم أن الظروف السياسية عصيبة لاسيما بعد بدر .. ولم يظن أنه يحبس بمكة، إنما

---

١ أيام كان على غير الإسلام، وكان في جيش المشركين.

٢ ابن هشام ١ / ٦٤٤

٣ ابن هشام ١ / ٦٤٤، وابن سيد الناس ١\٣٩٣

٤ الموقع الرسمي للجنة الدولية للصليب الأحمر www.icrc.org

جاء معتمرا، وقد كان عهد أن قريشًا لا يعرضون لاحد جاء حاجًا أو معتمرًا إلا بخير، فعدا عليه أبو سفيان بن حرب بمكة، فحبسه بابنه عمرو ..

ومشى بنو عمرو بن عوف إلى رسول الله ﷺ فأخبروا خبره، وسألوه أن يعطيهم عمرو بن أبي سفيان، فيفكوا به الشيخ، ففعل رسول الله ﷺ، وأفرج عن ابن أبي سفيان على الفور، فبعثوا به إلى أبي سفيان فخلى سبيل سعد١

خامسًا : تأثر الأسرى بالأخلاق الإسلامية السمحة :

فهذا أبو العاص بن الربيع يحدثنا – في إعجاب وتأثر بأخلاق المسلمين – فيقول: كنت في رهط من الأنصار ٢ – جزاهم الله خيرًا –، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل، والتمر زادهم، حتى إن الرجل لتقع في يده كسرة فيدفعها إليَّ، وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد: وكانوا يحملوننا ويمشون٣.

وقد كان أَبُو الْعَاصِ بْنُ الرّبِيعِ في الأسارى، وختن رسول الله ﷺ، وزوج ابنته زينب، أسره خِرَاشُ بْنُ الصّمّةَ ، فلما بعثت قريش فداء الأسرى بعثت زينب بنت رسول الله ﷺفي فداء أبي العاص وأخيه عمرو بن الربيع بقلادة لإمها خديجة ، فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال: " إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها فافعلوا "، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها٤.

إن هذه المواقف كان لها بالغ الأثر في نفس "أبي الْعَاصِ بْنُ الرّبِيعِ" الأمر الذي دفعه إلى إعلان إسلامه بين ظهراني قريش.

المطلب الخامس عشر : النهي عن المثلة بالأسير :

فلما قال عُمَرَ بْنَ الْخَطّابِ لِرَسُولِ اللهّ ﷺ : يَا رَسُولَ اللهّ، دَعْنِي أَنْزِعْ ثَنِيّتَيْ سُهَيْلِ بْنِ عَمْرٍو ، وَيَدْلَعُ لِسَانَهُ فَلَا يَقُومُ عَلَيْك خَطِيبًا فِي مَوْطِنٍ أَبَدًا " .. وقد كان خطيبًا مثقعًا، يهجو الرسول .

---

١ الطبري ١ / ٤٥٥، الصالحي ٤/ ٧٠

٢ قبل إسلامه، أيام كان في جيش قريش، وأسره الصحابه في معركة بدر .

٣ انظر: الواقدي ١/ ١١٩.

٤ الصالحي ٤ / ٧١

فقَالَ رَسُولُ اللهّ ﷺ: "لَا أُمَثِّلُ بِهِ، فَيُمَثِّلُ اللهُ بِي وَإِنْ كُنْتُ نَبِيّا !!". ثم قال لعمر : "إِنّهُ عَسَى أَنْ يَقُومَ مَقَامًا لَا تَذُمّهُ"١

فقام سهيل بن عمرو حين ارتد قبائل العرب، يثبت الناس، ويحثهم على التمسك بالإسلام، وقال عمر حين بلغه كلام سهيل: أشهد إنك لرسول الله! يريد حيث قال النبي ﷺ " لعله يقوم مقاماً لا تكرهه "٢.

لقد سبق رسول الله ﷺ كل الاتفاقات الدولية بشأن تحريم المثلة بالأسير أو إهانته.. رغم ما تفعله جيوش الدول التي تسمي نفسها متحضرة في أسرى المسلمين في العراق وفلسطين وبلاد المسلمين الأخرى المحتلة ..

وقد جاء في المادة (١٣) من اتفاقية جنيف الثالثة بشأن معاملة أسرى الحرب المؤرخة في ١٢آب/ أغسطس ١٩٤٩:

" يجب معاملة أسرى الحرب معاملة إنسانية في جميع الأوقات. ويحظر أن تقترف الدولة الحاجزة أي فعل أو إهمال غير مشروع يسبب موت أسير في عهدتها، ويعتبر انتهاكاً جسيماً لهذه الاتفاقية. وعلى الأخص، لا يجوز تعريض أي أسير حرب للتشويه البدني أو التجارب الطبية أو العلمية من أي نوع كان مما لا تبرره المعالجة الطبية للأسير المعني أو لا يكون في مصلحته."٣

في حين نجد الصهاينة قد حولوا السجون – الممتلئة بالشبان الفلسطينيين –إلى حقل تجارب طبية، إلى جانب انتشار ظاهرة سرقة أعضاء وأجزاء من جسد السجين في سجون الصهاينة. الأمر الذي ترفضه كل الشرائع والأعراف والمواثيق.

* * *

١ ابن هشام ١ / ٦٤٩، الذهبي : تاريخ الإسلام ١ / ١٧٥ ، ابن كثير: البداية والنهاية ٣ / ٣٧٨
٢ الواقدي ١ / ٣٩
٣ الموقع الرسمي للجنة الدولية للصليب الأحمر www.icrc.org

obeikandl.com